[آثَارُ الْغَفْلَةِ عَلَى الْقَلْبِ، أَسْبَابُهَا وَعِلَاجُهَا]

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَالِمِ السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ، اَلْمُنَزَّهِ عَنِ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ مِمَّا أَسْرَرْنَا أَوْ أَعْلَنَّا، وَمِمَّا تَعَمَّدْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَخَلِيلَهُ، أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ وَأَتْقَاهُمْ وَأَخْشَاهُمْ لَهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَطْهَارِ، وَأَصْحَابِهِ الْمَيَامِينِ الْأَخْيَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَسَلَكَ نَهْجَهُمُ الْقَوِيمَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ فِي دَارِ الْقَرَارِ..﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

أَمَّا بَعْدُ فَيا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ

إِنَّ مِنْ أَهْدَافِ (خُطَّبةِ الجُمُعةِ) نُصْحَ النَّاسِ بِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمُعَالَجَةَ الْقُلُوبِ وَتَغْذِيَتَهَا بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَحَثَّهَا عَلَى التَّحَلِّي بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَعَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ: أَدَاءُ الْعِبَادَاتِ بِثَمَرَاتِهَا النَّافِعَةِ لِلْعَبْدِ فِي نَفْسِهِ، وَالْمُتَعَدِّيَةِ إِلَى مُحِيطِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ تَعْرِضُ لِلْعَبْدِ عَوَائِقُ تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا وَقَرَ فِي قَلْبِهِ، وَبَيْنَ أَفْعَالِهِ الصَّادِرَةِ عَنْ جَوَارِحِهِ، وَمِنْهَا: مَرَضُ الْغَفْلَةِ، اَلْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَنْ شُكْرِ نِعَمِهِ الَّتِي يَتَقَلَّبُ فِيهَا الْإِنْسَانُ بِلَا انْقِطَاعٍ، غَفْلَةٌ تُنْسِي الْعَبْدَ حَقِيقَةَ وُجُودِهِ وَعُبُودِيَّتَهُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَإِعْمَارَ الْحَيَاةِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالنَّفْعِ الْعَمِيمِ إِزَاءَ النَّفْسِ وَالْغَيْرِ.

عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ آفَةَ غَفْلَةِ الْقُلُوبِ لَهَا آثَارٌ خَطِيرَةٌ عَلَى الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ، وَعَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْآثَارِ:

أَوَّلًا: اَلِاتِّصَافُ بِالْكِبْرِ وَظُلْمِ الْعِبَادِ، فَالغَافِلُ يَبْطَرُ الْحَقَّ، وَيَغْمِطُ النَّاسَ، رَوَى مُسْلِمٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: [لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، اَلْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ].

ثَانِيًا: اَلِانْسِيَاقُ مَعَ الْهَوَى وَوَسَوَاسِ الشَّيَاطِينِ، فَعِندَ الْغَفْلَةِ يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُتَّبِعًا لَهَوَاهُ، مُسْتَسْلِمًا لِوَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ الَّتِي تَسُوقُهُ إِلَى سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِالنَّاسِ، وَشَغْلِ نَفْسِهِ بِمَا لَا يَعْنِيهَا، بَيْنَمَا النَّجَاةُ فِي أَنْ يَهْتَمَّ كُلُّ شَخْصٍ بِعُيُوبِهِ، رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي مُوَطَّئِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: [مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ]. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: [اَلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ]. وَلِلَّهِ دَرُّ الشَّاعِرِ الْقَائِلِ:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ

وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ.

ثَالِثًا: اَلشَّقَاءُ وَالتَّعَاسَةُ بِسَبَبِ الْغَفْلَةِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ ذِكْرِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنَ اَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾. وَالْمُرَادُ بِـ(النِّسْيَانِ) فِي الْآيَةِ: اَلْغَفْلَةُ وَالْإِعْرَاضُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ النِّسْيَانَ الْمَرْفُوعَ إِثْمُهُ عَنْ أُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

رَابِعًا: قَسْوَةُ الْقَلْبِ وَجُحُودُهُ لِلنِّعَمِ، وَاسْتِصْغَارُهُ لِكُلِّ نِعْمَةٍ مَوْهُوبَةٍ، وَاسْتِعْظَامُهُ لِكُلِّ نِعْمَةٍ مَفْقُودَةٍ، مِمَّا يَجْعَلُ الْمَرْءَ يَلْهَثُ وَرَاءَ الشَّرَهِ وَالطَّمَعِ، مَسْكُونًا بِالْهَلَعِ وَالْفَزَعِ، سَاخِطًا عَلَى رَبِّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ.

عِبَادَ اللَّهِ؛ هَذِهِ بَعْضُ آثَارِ الْغَفْلَةِ السَّلْبِيَّةِ عَلَى الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ، يَجْدُرُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يَفْهَمَهَا وَيَسْتَحْضِرَهَا حَتَّى يَتَجَنَّبَ الْوُقُوعَ فِي حِبَالِهَا، مُسْتَمْسِكًا فِي مَسِيرَةِ الْحَيَاةِ بِذِكْرِ اللَّهِ، اِمْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾.

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِكِتَابِهِ الْمُبِينِ، وَبِحَدِيثِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَأَجَارَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ، وَغَفَرَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، آمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اَلْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَرَسُولِ الْهُدَى وَالنُّورِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ فَيَا عِبَادَ اللَّهِ

لَقَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَ الآثَارِ السَّلْبِيَّةِ لِلْغَفْلَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَهَذِهِ بَعْضُ أَسْبَابِهَا:

أَوَّلًا: اَلْجَهْلُ بِحَقِّهِ سُبْحَانَهُ، فَأَكْبَرُ سَبَبٍ لِلْغَفْلَةِ هُوَ الْجَهْلُ بِاللَّهِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ غَفْلَةً أَبْعَدُهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ مَوْلَاهُ، وَلِذَلِكَ لَا تُرْتَكَبُ مَعْصِيَةٌ إِلَّا بِسَبَبِ الْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يُتَصَوَّرُ فِي الذَّاكِرِ الْيَقِظِ أَنْ يَعْصِيَ مَوْلَاهُ، رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: [لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ]. وَالْمُرَادُ بِـ(نَفْيِ الْإِيمَانِ): نَفْيُ كَمَالِهِ، أَيْ: لَا يَكُونُ كَامِلَ الْإِيمَانِ فِي حَالِ تَلَبُّسِهِ بِالْمَعْصِيَةِ.

ثَانِيًا: حُبُّ الدُّنْيَا وَالِانْشِغَالُ بِهَا عَنْ غَايَةِ الْخَلْقِ وَعِلَّةِ الْوُجُودِ فِيهَا.

ثَالِثًا: اِرْتِكَابُ الْمَعَاصِي وَمُصَاحَبَةُ أَهْلِهَا، فَالْمَعْصِيَةُ ظُلْمَةٌ عَلَى الْقَلْبِ، مُوَرِّثَةٌ لِلْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَلاَّ بَلْ رَّانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

رَابِعًا: اَلْإِعْجَابُ بِالنَّفْسِ وَازْدِرَاءُ الْآخَرِينَ، وَالتَّسْوِيفُ وَطُولُ الْأَمَلِ، وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُسَوِّدُ الْقَلْبَ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِه، وَجَمِيلِ عَفْوِهِ وَسِتْرِهِ.

أَمَّا طُرُقُ عِلاَجِهَا فَنَخْتَصِرُ أَهَمَّهَا كَمَا يَلِي:

أَوَّلًا: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ﴾. فَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى نُورٌ، وَالْغَفْلَةُ ظُلْمَةٌ، لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ، وَذِكْرُ اللَّهِ يَكُونُ بِالْقَلْبِ، وَهُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يُحَرِّكُ بَاقِيَ الْجَوَارِحِ، وَيَكُونُ بِاللِّسَانِ تَحَدُّثًا بِالنِّعْمَةِ وَشُكْرًا لِلْمُنعِمِ، وَبِالْجَوَارِحِ عَمَلًا وَإِحْسَانًا مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَلِلَّهِ دَرُّ الشَّاعِرِ الْقَائِلِ:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ

خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ

وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ يُغْفِلُ مَا مَضَى

وَلَا أَنَّ مَا يَخْـــفَى عَلَـيْهِ يَغِيـبُ.

ثَانِيًا: مَعْرِفَةُ النَّفْسِ مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَعْرِفَةُ النَّفْسِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ خَالِقِهَا وَالْغَايَةِ مِنْ خَلْقِهَا، وَهَذَا مَا يَبْعَثُهَا عَلَى السَّعْيِ فِي تَحْصِيلِ رِضَا مَوْلَاهَا جَلَّ شَانُهُ.

ثَالِثًا: اَلْإِسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ، وَقِصَرُ الْأَمَلِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: [أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ]. وَكُلُّ فِعْلٍ مَبْرُورٍ وَقَوْلٍ حَسَنٍ وَخُلُقٍ جَمِيلٍ، يَطْرُدُ الْغَفْلَةَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَيُحَلِّيهَا بِنُورِ مَعْرِفَةِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ.

هَذَا وَأَكْثِرُواْ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مَلَاذِ الْوَرَى وَشَفِيعِ الْأَنَامِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَكَ وَذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ وَذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ

بَاقِي الصَّحْبِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَكُلِّ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَانصُرِ اللَّهُمَّ مَنْ وَلَّيْتَهُ أَمْرَ عِبَادِكَ، وَبَسَطْتَ يَدَهُ فِي أَرْضِكَ وَبِلَادِكَ،

وليَّ أمْرِنا خَادِمَ الْحَرَمْينِ الشَرِيْفَينِ، نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاحْفَظْهُ اللَّهُمَّ فِي حَلِّهِ وَتَرَحَالِهِ، مَوْفُورَ الصِّحَّةِ فِي تَمَامِ الْعَافِيَةِ، قَرِيرَ الْعَيْنِ بِوَلِيِّ عَهْدِهِ ، مَشْدُودَ الْأَزْرِ بِالْوُزَارَءِ وأُمرَاءِ الْمَنَاطِق، اَللّٰهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْغَافِلِينَ، وَأَحْيِ قُلُوبَنَا بِنُورِ مَعْرِفَتِكَ، وَاعْصِمْنَا مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ، وَعَافِنَا مِنْ جَمِيعِ الْمِحَنِ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ، اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَسَائِرِ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.